... لماذا "ماركس وسـ

لماذا « مـــاركس وسبنسر » ؟
لماذا وضع فدائيو الجبهة الشعبية قنبلـــة موقوتة حارقة في المؤسسة الشهيرة التي تقوم وسط لندن ؟
في مطلع هذا العام ، ابلـــغ احـــد ابرز قـــادة « الهستدروت » اجتماعا لرجال الاعمال اليهود في لوس انجلوس: « في يوم من الايام كنا نؤمن بكارل ماركس ، اليوم اصبحنا نؤمن بماركس وسبنسر » .

ولم يكن هذا الكـــلام مجرد سجع ، ولكنه كان يكشف حقيقة ما ترمز اليـــه هـــذه المؤسسة الرأسمالية الصهيونيـــة الكبرى كحلقة مهمة واساسية من حلقات الحلف المثلث بـــين الرأسمـــالية العالمية والرأسمـــالية اليهودية والحكم الاحتلالي العنصري فـــي اسرائيـــل .

ومن هنا فقد كانت الضربة التحذيرية التي وجهتها الجبهة الشعبية لما ترمز اليه مؤسسة « ماركس وسبنسر » ، بمثابة وضع اليد على هذه الحلقـــة المخطرة في الوجود الاسرائيلي المرتبط عضويا بالامبريالية العالمية .

ان مؤسسة « ماركس وسبنسر » هي الرمز الاول للرأسمالية اليهودية التي اخترعت الصهيونية وما تزال تشكل حاميها الاساسي ، وهي كذلك تمثل الرمـز الذي يربط بين هـــذه الرأسمالية وبين الرأسمالية العالمية.

ان القنبلة الموقوتة الحـــارقة التي وضعها فدائيو الجبهة الشعبية فـــي هذه المؤسسة ، انما كانت في ذاتها ، استعادة لهذه القصـــة الصهيونية ووضعها مجددا امام العالم .

فما هي هذه القصة ؟

عـــائلة سبنسر وروابطهـــا

ليس من المستغرب ان تكون مؤسسة « ماركس وسبنسر » البريطانية واحدة من اهداف المقـــاومة الفلسطينية المسلحـــة ، فطبيعـــة هذه المؤسسة التجـــارية ودورهـــا في المساعدة الاقتصادية لاسرائيل وتسويق المنتوجات الاسرائيلية ، يدخلان في منطق الثورة الفلسطينية فيما يتعلق بتحديد اهداف ضرباتها الموجعة للمصالح الاستعمارية والصهيونية العالمية ، بحيث يدخـــل « مـــاركس وسبنسر » في القـــائمة الثانيـــة .

فعائلة سبنسر ذات ارتباطات عريقة ووثيقة بالشركات الامريكية ، هي مـــن صميم علاقات الشركات الرأسمـــالية العالمية مع بعضها البعض انطلاقا من المصالح المشتركة بينها ، وهي بذلك رابط من الروابط بين الرأسمـــالية الامريكية والرأسمالية اليهوديـــة في اسرائيل .

فقد ساهمت الرأسمالية اليهوديـــة والاستعمار بتغليب فكرة اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، « كحل » للمعضلة اليهودية ، وذلك على حساب الحل الاشتراكي للمعضلـــة ، الذي يقول بذوبان اليهود في المجتمعات التي وجدوا فيها وحل المشكلة على اساس الصراع الطبقي ، وعلى حساب الحل النازي الفاشي الذي يقول بابادة العنصر اليهودي كحل للمعضلة ، وكان تغليب هذا الحل يعود الى تحسسي الارض المشتركة بـــين الدعوة الصهيونيـــة ومصالح الاحتكـــارات العـــالمية في المنطقة . وبالتالي مـــا زال الكيـــان الاسرائيلي المصطنع قـــادرا علـــى الاستمرار بسبب امتـــداد اسرائيـــل الارقام في الواقع يفرضها نظام المجتمع الحربي ، مجتمع الثكنـــات ، وحيث يلعب الكيبوتز دورا عسكريا حيويا .

ماركس ++ وماركس آند سبنسر

وقد نقلت صحيفة الصانداي تايمز في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ تموز الماضي (١٩٦٩) تصريحـــا لمسؤول كبير فـــي الهستدروت يفضح حقيقة هذا الجانب من المخطط الدعـــائي الصهيوني ، والتناقض بين الواقع في اسرائيل وبين الدعاية في الخارج ، من خلال فضحه لحقيقة دور الهستدروت ، وطبيعـــة التنظيم الذي أعطي صبغـــة التنظيـــم الساهر على مصالح الطبقات الكادحة والفقيرة .

ففي تحقيق لها عن اسرائيل عـــام ١٩٦٩ ، تحت عنوان « ارض ماركس وسبنسر » ، تبحث فيه عن « الحرب الاخرى » التي تشنها اسرائيل على الجبهة الصناعية ، ضد البيروقراطية والتضخم المالي وفقدان الكفاءات ، ذكرت فصـــة زيـــارة اشريادلين ، السكرتير العام لجنـــاح المقـــاولات والصناعة في الهستدروت، الى الولايات المتحدة في وقت مبكر من هذا العام ، حيث اجتمع الى جماعة من رجـــال الاعمال الاثرياء الصهيونيين ، في لوس انجلوس .

وكان الهدف من ذلك الاجتماع ـــ كما ذكـــرت الصحيفـــة ـــ اقناع هؤلاء المبادىء التي على اساسها يتم اعادة تنظيم هذه الامبراطورية (الهستدروت). قال يادلين لهؤلاء انه رغم علاقـــات الهستدروت التي لها جذورا عميقة في فلسفة وتاريخ اسرائيل الاجتماعي الا ان قسم المقاولات والصناعة فيه ، لا يختلف عمليا عن اي مؤسسة راسمالية اخرى : مطلوب منه الربح واعطـــاء عائدات معقولة لرأس المال ، كمـــا هو الحال مع اي مؤسسة خـــاصة اخرى .

وتابعت الصحيفة تقول : ان رجال الاعمال هؤلاء كانوا يستمعون اليـــه بحيرة ، حتى انتهى من شرحه ، عندما سأله احدهم كيف يمكنه التوفيق بـــين المثاليات الاشتراكية التـــي يدعيها الهستدروت وبين الشرح الرأسمـــالي للهستدروت الذي قدمه لهم ؟

واجاب يادلين : « حسنا . ان الزمن يتغير. في يوم من الايام كنا نؤمن بماركس (كارل ماركس) واصبحنا اليوم نؤمن « بماركس وسبنسر » .

وأسرعت الصحيفة الى القول بان

الولايات المتحدة تضع خطة للتدخل العسكري المباشر في الشرق الاوسط

اذا كانت مسالة اعادة النظر بمفاهيم السياسة الخارجيـــة الامريكية ، التي اطلقهـــا الرئيس الامريكي في جولته الاسيوية ، تعني شيئا ، فانهـــا لا تعني الا تغيير وسائل واساليب هذه السياسة الامبريالية بعنجهية مجنونـــة .

والمسالة التي يعالجها اليوم مخططو هذه السياسة في الولايات المتحـــدة تدعو الى التساؤل عما اذا كـــانت الحروب المخاطفة ستحل محل الحروب المحلية ، على اساس استبعاد امكانية الحرب الشاملة العالمية بوجود مخزون الرعب النووي الذي يؤدي في حـــال انفجاره ، الى الدمار الشامل للاطراف المتحاربـــة .

وهذا السؤال يفرض نفسه مـــن حيث ان حرب فيتنام ما زالت مستمرة، يحصد فيها العسكريون الامريكيـــون الهزيمة تلو الاخرى ، بعد ان فقـــدوا زمام المبادرة فيها وراحوا يحـــاولون تحويلها من حرب امريكية الـــى حرب اسيوية . وهذا الدرس فـــي فيتنام هو الذي يفرض مثل هذا السؤال على اساس ان القوى الامبريالية تسعـــى دائما ، دون التخلي عن الاستعدادات لحرب جديدة ، الى تنفيذ سياستهـــا الرامية الى سحق حركات التحرر الوطني وتعزيز سيطرتها ، التي اثبتت حرب فيتنام ، انها تضعف في الحروب المحلية، او بالاحرى ، تضعف فـــي وجه ثورة شعبية عارمة ، مسلحـــة وواعية ، تحولها القوى الامبريالية المـــى حرب محليـــة .

ولاعادة النظر بالوسائل والاساليب يعقد في الوقت الحاضر مجلس الامـــن الوطني ومجموعة مستشاري الرئاسة، برئاسة « هنري كيسنغر » ، الاجتماعات المطولة حول « سياسة الدفاع الخارجية والداخلية » الامريكية ، لاحالته فيمـــا بعد الى الحكومه .

وكانت مجلة « كريستيان ساينس مونيتور » قد ذكرت في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ حزيران الماضي ان الوثيقة التي سيجري البحث فيها فـــي مجلس الامن الوطني ، تعالج بصورة رئيسية مستقبل مشاركة الولايات المتحدة فـــي الحروب المحدودة ، ومحتوى الوثيقـــة الرئيسي هو تقديم اساليب جديـــدة للتدخل العسكري للولايـــات المتحـــدة الامريكية في الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، التي تنهج سياسة لا توافق مصالح الطبقة الحاكمة فـــي الولايات المتحدة ، او تلك التي تستعد لانتهـــاج مثل هذه السياســـة .

مشاريع لعدوان امريكي

من هذه الناحية ، ذكرت الصحيفة ان الوثيقة تبحث قضية الشروع بوضع مخططات دقيقة جدا لمهمات هـــذه السياسة الامريكية ، وقالت : « ان وزارة الدفاع ووزارة الخارجية شأنها شأن منظمات اخرى على غرار وكالة الاستخبارات المركزية « C I. A » تعمـــل تحت اشراف البيت الابيض بدراسة المناطق في العـــالم ، حيث توجـــد بعض القضـــايا (!) ويجب تحديد ما اذا كانت المساعدة الامريكيـــة ضرورية ومرغوب فيها . ويجب تحديد المهام الرئيسية الاولية ، ثـــم وضع مخططات عامة تكون بمثابة الفليـــل في كل حالات امكانية التدخل الامريكـــي ، في بلد ما ، ووضع مخططات استثنائية لاستخدام القوات المسلحة الامريكيـــة اذا ما دعت الحاجة » (!) .

ومن ناحية استبدال الحروب المحلية بالحروب الخاطفة ، ذكرت الصحيفة ان الوثيقة تقول : « يجب تمويـــد الامريكيين على فكرة التحـــرك السريع للقوات الامريكية التـــي توجب ظروف ذلك البلد باتزالها فيه » .

وتنفيذا لهذا الاسلوب الخـــاطف الجديد في التدخل الامريكي العسكري ، قالت الصحيفة ان الجيش الامريكـــي « يأمل » بانشاء « فيلق للمهـــام العسكرية » تكون في قدرة ضباطـــه اكتشاف بذور الانتفاضات في مرحلـــة نشوئها واتخاذ التدابير لحـــل القضايا التي يتعرض لها ذلك البلد ، من اجل سحق الانتفاضة الوطنية التحررية فيه. وستفتح مدرسة في « فورت براغ » ، لدراسة قضايا الانتفاضات في اشكالها المختلفـــة .

دور هنري كيسنغر

ويقف وراء هـــذه المخططـــات للسياسة الامريكية العدوانية ، التي يبحثها مجلس الامن الوطني ومجموعة كيسنغر ، هنري كيسنغر نفسه ، وهو يهودي صهيوني أمر نيكسون منـــذ بداية ولايته ، على ان يكـــون هـــو مستشاره الخاص في كـــل الشؤون العـــالمية وتنسيق كل التوصيـــات والتوجيهات التي ترد الى البيت الابيض من كل الدوائر والوكالات المتخصصة بالشؤون العالمية .

□ هنري كيسنغر □